طرائق تربويّة في السنُّة النبويّة

د. محمد عبدالباقي عبد الغفار أبوعيانة

مقدمة:

إن الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - خير معلّمي الدنيا كلها بلا منازع، فبالإضافة إلى سعة صدره في تعليمه، ورفقه، ولينه، وحلمه فإنه قدّم للعالم طرائق رائدة في التعليم، جمع فيها بين الإقناع العقلي، والتأثير العاطفي؛ ذلك أنه لم يعلّم بالقول فقط، بل كان يعلّم بالقول، والفعل، والسلوك، والسكوت، والإشارة، والإيماءة، كما أنّه كان معلّمًا بشخصه، وفكره، وعلمه. ويحسن بنا أن نشير إلى أن الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - لم يكن يعلّم علومًا فقط، وإنما كان يعلّم دينًا، ودنيا، يعلم كل شيء في المجالات جميعها: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والاجتماع، والسلوك، والآداب، والمعاملات، و... وفوق التعليم كان أسوة وقدوة في كل مجال، وفي طريقة التعليم نفسها، فهو - صلّى الله عليه وسلّم - معلّم ميّسر، قال عليه الصلاة والسلام (١) كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه جابر بن عبد الله، قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا "(٢)

ومن يرغب في معرفة أثر التعليم في المتعلمين يكفيه أن يتأمّل حال البشرية قبل بعثة رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - وما آلت إليه بعد بعثته؛ ليرى الفرق واضحًا، والبون شاسعًا، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (٣)

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على طرائق تعليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه والأمةَ من بعدهم، فقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة في كل شيء، وخاصة في الحضّ على طلب العلم والتعلّم. وكان - صلى الله عليه وسلّم - مدركًا تمام الإدراك أن تقدّم الأمة ورقيّها مرهون بالحرص على العلم، وبسبب حرصه على العلم والتعلّم والتعليم أصبحت بيئة المجتمع الإسلامى بيئة تعليميّة تعلّميّة؛ مما أسهم فى تقدّم الدولة الإسلامية وازدهارها.

ومن الجدير بالذكر أن أي معلم يقتصر تعليمه على طلبته فقط، لكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يقصر تعليمه على أصحابه فقط، بل قصد من تعليمه تعليم أمَّته من بعده، وتلك قمَّة الإبداع. فقد تجد المعلم الذي علَّم بضعة تلاميذ يحملون مبادئه وشيئًا من علمه، تراه مباهيًا مفاخرًا مزهوًا. فما بالك بالذي يقصد من تعليمه تعليم أجيال وأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن ثمّ نجد حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على نشر العلم وعدم قصره على متلقّيه، فنجده عليه الصلاة والسلام يطلب من الوافدين عليه، تبليغ علمه ودعوته إلى مَنْ خلفهم، بل يطلب من كل متلق عنه أن يبلّغ ما سمعه إلى من لم يسمعه، فرب مبلَّغ أوعى من سامع، يقول عليه الصلاة والسلام: "ليبلّغ الشاهدُ الغائبَ، فربّ مُبلَّغ أوعى من سامع" (٤) ويقول صلى الله عليه وسلم: "نَضَّر الله أمرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يُبلّغه، فَرُبَّ مُبلّغ أحفظ من سامع".(٥). وبالإضافة إلى ذلك كان يبعث الرسل، ويكتب الكتب، ويرسل المعلمين إلى الأصقاع والبلدان، ونستطيع أن نقول: إن الرسول - صلى الله عليه وسلّم - لم يقتصر على وسيلة إعلامية واحدة، بل وظَّف وسائل الإعلام التى كانت متوافرة فى زمانه؛ لإيصال علمه وهديه إلى الناس كافة.

وقفة مع بعض مصطلحات الدراسة:

تتكون العملية التعلمية من أربعة أركان رئيسة هي: (المعلم، والمادة العلمية، والطالب، وطريقة التدريس). ومما لاشك فيه أن لطريقة التدريس أثرًا كبيرًا في التعليم، وعليها يتوقف نجاح المعلم أو إخفاقه، فقد يكون المعلم غزيرَ المادة العلميَّة، لكنه قد يخفق في تدريسه؛ لأنه لم يتخيَّر الطريقة التي يصل بها إلى عقول طلبته، ومن ثمّ فإن المعلم الفَطِن هو الذي يحسن اختيار الطريقة التي تلائم طلبته؛ كي يستطيع أن ينير لهم الطريق الذي سيسيرون فيه.

ولنقف هينهة كي نعرّف ببعض

المصطلحات، ولنبدأ بمصطلح (طريقة التدريس) في اللغة، وفي المعاجم التربوية. "الطريق: السبيل يذكّر ويؤنّث، تقول: الطريق الأعظم، والطريق العظمى، والجمع أطرقة، وطرق. وطريقة الرجل: مذهبه يقال: مازال فلان على طريقة واحدة أي حالة واحدة".(٦). و"الطريقة: الطريق. والسيرة. والمذهب، وفي التنزيل العزيز في قصة فرعون "ويذهبا بطريقتكم المثلى" (٧) والجمع طرائق". (٨) وقال الأخفش (بطريقتكم المثلى) أي: بسنّتكم ودينكم وما أنتم عليه، وجاء في القرآن الكريم أيضا (وأن لو استقاموا على الطَّريقَة....) (٩) أي لو استقاموا على طريقة الهدى، ويجمع ابن منظور في لسان العرب طريقة على طرائق، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: "....كنا طَرائِق قِددا"(١٠). وتجمع الطريقة خطأ على طرق، والصحيح أن طرق جمع طريق، وهي السبيل أو الدرب يطرقها الناس وغيرهم.

ويقصد بطريقة التدريس "جميع أوجه النشاط الموجه الذي يقوم به المدرس؛ بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التغيير المنشود في سلوكهم، وبالتالي مساعدتهم على اكتساب: المعلومات، والمعارف، والمهارات، والعادات، والاتجاهات، والميول والقيم المرغوبة" (١١). وتعرّف طريقة التدريس أيضا بأنها: كيفية تنظيم واستعمال مواد التعلُّم والتعليم؛ لأجل بلوغ الأهداف التربوية المعيَّنة. والطريقة هي حركة الوصل بين التلميذ والمنهج، ويتوقف عليها نجاح وإخراج المقرر أو المنهج إلى حيز التنفيذ. كما تتضمن الطريقة كيفية إعداد المواقف التعليمية المناسبة وجعلها غنية بالمعلومات والاتجاهات والقيم المرغوب فيها(١٢) فطريقة التدريس هي الإجراءات التي يتّبعها المعلم لمساعدة تلاميذه لتحقيق الأهداف، وقد تكون هذه الإجراءات مناقشات، أو توجيه أسئلة، أو تخطيطًا لمشروع، أو إثارة مشكلة تدعو التلاميذ إلى التساؤل، أو محاولة لاكتشاف، أو فرض فروض، أو غير ذلك من الإجراءات.

أمَّا أسلوب التدريس فهو نمط التدريس الذي يختاره المعلم لأداء درسه، ويُفضِّل تناوله على صورة مداخل ثنائية التشعب مثل: أسلوب التدريس المباشر مقابل أسلوب التدريس غير المباشر، وأسلوب التدريس السلطوي مقابل أسلوب التدريس الديمقراطي، والحماسي مقابل الفتور، ويكون نمطًا مميَّزًا لسلوك المعلم في التدريس. (١٣)

فالأسلوب التدريسي هو: مجموعة قواعد أو ضوابط أو كيفيات تنفذ بها طريقة التدريس لتحقيق أهداف الدرس. ويرتبط بالمعلم وسمات شخصيته وهو جزء من الطريقة. ونستطيع أن نضرب مثالاً على ذلك بطريقة المحاضرة، فمن المعلمين من يفضّل أسلوب الإلقاء المباشر، ومنهم من يفضّل مع أسلوب الإلقاء التعزيز بالعرض التوضيحي، ومنهم من يفضل أسلوب الإلقاء الذي تتخلله الأسئلة.

والفرق بين طريقة التدريس وأسلوب التدريس أن طريقة التدريس استراتيجية متكاملة، بينما الأسلوب نمط وجزء من هذه الاستراتيجية "فالأساليب إجراءات خاصة، يقوم بها المعلم ضمن الإجراءات العامة التي تجري في موقف تعليمي معين. فقد تكون طريقة المناقشة واحدة، ولكن يستخدمها المعلمون بأساليب متنوعة كالأسئلة والأجوبة، أو إعداد تقارير ومناقشتها. وفي ضوء هذا المفهوم: نستنتج أن الأسلوب هو جزء من الطريقة.(١٤)

هذا عن طريقة التدريس، وأسلوب التدريس، أما التعليم فقد عرفه الدكتور محمود محمد غانم بأنه "نشاط يهدف إلى تحقيق التعلم ويمارس بالطريقة التي يتم فيها احترام النمو العقلي للطالب وقدرته على الحكم المستقل، وهو يهدف إلى المعرفة والفهم" (١٥) أما عبد الكريم الخلايلة وعفاف اللبابيدي فقد عرفاه بأنه: "هو مجرد مجهود شخصي لمعونة شخص آخر على التعلم". والتعليم عملية حفز واستثارة لقوى المتعلم العقلية ونشاطه الذاتي، وتهيئة الظروف المناسبة التي تمكّنه من التعلم، كما أن التعليم الجيد يكفل انتقال أثر التدريب والتعلم وتطبيق المبادئ العامة التي يكتسبها المتعلم على مجالات أخرى ومواقف متشابهة".(١٦)

أما التعلّم فيعرّف بأنه تعديل في السلوك، وهو كل مايكتسبة المتعلم من التعليم والتدريس والتدريب، فيحدث تعديلا في سلوكه؛ لذا فإن أفضل تدريس، أو تعليم، أو تدريب هو مايؤدي إلى أفضل تعلّم.

مميزات التعليم النبوي:

إذا كان كل صاحب طريقة يتباهي بها ويُدلّ بإنجازها على الناس - بل تقام المسابقات، وتقدّم الجوائز لمن كان له قصب السبق في مجال من المجالات - فإن الرسول - صلى الله عليه وسلّم - قد بزّ الجميعَ بطرائقة الفريدة، وأساليبه المبتكرة، وسنبدأ حديثنا بذكر مميّزات

التعليم النبوي، وهي مميّزات متعدّدة ومتنوّعة، لكننا سنحاول أن نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر.

١- حِرْصُ الرسول - صلى الله عليه وسلم – على تعليم الناس جميعًا،

فقد حضّ الرسول المعلّم على طلب العلم، وشجّع على تحصيله، بل وصل الحرص من الرسول – صلى الله عليه وسلم – على العلم إلى جعله فريضةً على كل مسلم، فقال صلى الله عليه وسلّم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (١٧) وشجّع الإقبال على العلم فقال: "من يرد الله به خيرًا يفّقهه فى الدين" (١٨)

٢-تَحَرّي الدقة والإتقان في كل شيء:

الدقة والإتقان هدفان من الأهداف العامة لتعليم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أصحابه ويظهر ذلك واضحًا جليًا في قوله صلى الله عليه وسلّم: " إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه"(١٩). وهذا ينسحب على التعليم بالدرجة الأولى، فإذا كان الإتقان مطلوبًا في الأعمال والأمور العادية فإنه في التعليم أولى. فالرسول يُعّلم كل معلم ومتعلّم أن العلم أمانة، وأن الأمانة يجب أن تُصان، وأن تؤدى تامّة غير منقوصة، وأنّ تَحَرّي الدقة في النقل، وفي التلّقي مطلوب ومؤكّد عليه.

٣- مراعاة نفسيّات المتعلمين:

كان النبى صلى الله عليه وسلم يراعي نفسيّات المتعلمين: فإذا شعر منهم بالكلل والتعب لا يُثقِل عليهم بالتعليم، بل يتركهم حتى يعود إليهم النشاط والإقبال على التعليم، يقول ابن مسعود: "كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا" (٢٠) وهذا سلوك معتمد من المؤسسات التربوية، والكليات الجامعية، والهيئات التعليمية المعاصرة، فى جميع أنحاء العالم، مما يجعل المتعلم لا يملّ التعليم، بل يقبل عليه برغبة ودافعيّة قويّة، فيقع التعليم منه موقعًا حسنًا.

٤- مراعاة الفروق الفردية:

كان عليه الصلاة والسلام يراعى الفروق الفردية بين المتعلمين، ويلحظ مستواهم التعليمي، وخلفيَّتهم عن الموضوع الذي يريد إيصاله إليهم، فإذا رأى أن خطابه لم يصل إليهم بالدرجة التي تطمئن إليها نفسه، غيّر الطريقة؛ كي يُفهِمَهم، فكان يخاطب الحضور بما يسهل عليهم فهمه؛ لأنه يعلم تفاوت مدارك الناس، وقدراتهم على اكتساب المعرفة، فكان يُفَهِّم البدوى بما يلائم طبعه، ويخاطب الحضري بما يناسب نضجه العقليَّ. روى أبوهريرة – رضى الله عنه – قال "جاء رجل من بنى فزارة إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن امرأتى ولدت غلامًا أسود، وإنى أنكرته، فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم:– هل لك من إبل؟ قال: نعم قال: فما ألوانها؟ قال: حُمر، قال: هل لك فيها من أورق؟ قال: إن فيها أورق قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عِرق قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عِرق". (٢١) وكان يخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يلائم منزلته، من ذلك قوله لرجل: "لا تغضب" وكررها ثلاثاً، وأمره لآخر وقد جاء يبايعه على الجهاد والهجرة أن يبقى مع والديه، ويحسن صحبتهما، وطلبه من أحدهم وقد سأله ما أكثر ما يخافه عليه، أن يمسك عليه لسانه!! فالرسول– صلى الله عليه وسلم– يكلّم كل فئة بما يمكن أن تدركه عقولها. وقد فهم الصحابة هذه الطريقة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد قال على بن أبي طالب: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله"، وقال ابن مسعود: "إنك لست محدثاً قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة".

٥- تعليمه بالسيرة الحسنة والخلق القويم:

"كان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه صلى الله عليه وسلّم في التعليم العمل والتخلّق بالسيرة الحسنة، والخلق العظيم، فكان صلّى الله عليه وسلّم إذا أمر بشيء عمل به أولاً، ثم تأسّى به الناس، وعملوا كما رأوه، وكان خلقه القرآن، فكان على الخلق العظيم، وجعله الله تعالى أسوة حسنة لعباده" (٢٢) ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن المعلم قديمًا كان قدوة وأسوة، وكان كثيرٌ من الطلبة يتمنَّوْن أن يكونوا مثل معلمهم، في امتهان مهنة التدريس، فالطالب يتمنى أن يصبح في المستقبل معلمًا مثل المعلم الذي يعلّمه، بل إن كثيرًا من الطلبة يقلّدون معلّميهم في حركاتهم وسكناتهم وطريقة شرحهم، بل ولغتهم أيضًا، أمّا اليوم فالطالب يعلم أن المعلّم وسيلة توصله إلى غرضه، شأنه في ذلك شأن السيَّارة التي توصله إلى المكان الذي يريد، ومن ثمّ قلّ احترام الطالب لمعلمه، بل إننا في بعض الأحيان نرى

بعض الطلبة يسخرون من معلميهم، لكن بالتامل في دعوته – صلى الله عليه وسلم – نجد فيها الأسوة والقدوة في كل مجال، سواء في مجال العبادة والعقيدة والأخلاق والمعاملات، وكذلك طريقة التعليم.

٦ - الجمع بين الترغيب والترهيب:

النفس البشرية فيها رغبة ونفور،:وإقبال وفتور، ومن ثمّ فإن الرسول –صلى الله عليه وسلّم – يحسن التعامل مع هذه النفس بكل ما تحمله من متناقضات، فقد جمع في تعليمه بين الترغيب والترهيب، والتشجيع والتخويف، آملاً أن يحقق هدفه الأسمى من التعليم فعن أنس – رضي الله عنه – قال خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطبة ما سمعت مثلها قط: "قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" قال: "فغطى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وجوههم لهم خنين". (٢٣) ومن أحاديث الرجاء والترغيب ما حدّث به أبو ذر – رضي الله عنه قال أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال:"وإن زنى وإن سرق" قلت: "وإن زنى وإن سرق"؟ قال: "وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر" وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر. (٢٤)

٧ - الإقناع بالحجة والمنطق:

الإقناع بالحجة واستعمال المنطق يحتاج إلى معلم فطن لمّاح، يستطيع أن يقنع المصرَّ على رأيه، وقد كان صلى الله عليه وسلم خير من يقنع بالحجة، ويبرهن بالدليل، وخير دليل على ذلك إقناعه الشاب الذي أتى يطلب منه أن يبح له الزنا، فعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال: إن فتى شابا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا رسول الله، ائذن لي بالزنا"، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: "مه مه"، فقال: "ادنه" فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: « أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: "لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك"، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال:"أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه وقال:"اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (٢٥). إن هذا الشاب قد جاء والغريزة تتوقد في نفسه، مما يدفعه إلى أن يكسر حاجز الحياء، ويخاطب النبي – صلى الله عليه وسلم – علناً أمام أصحابه، وأدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – المربي المعلم لديه جانباً لم يدركه فيه أصحابه فما هو؟ لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولو كان قليل الورع عديم الديانة لم ير أنه بحاجة للاستئذان، بل كان يمارس ما يريد سراً، فأدرك صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخيِّر فيه، فما ذا كانت النتيجة: "فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء".

٨- المتابعة والمراجعة:

لقد حث الرسول:- صلى الله عليه وسلم – على المراجعة والمتابعة، بل جعلهما منهاجًا يُتمسّك به، ويحافظ عليه، فقال صلى الله عليه وسلّم " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ"،كما دعا الصحابة ومن خلفهم الناس جميعًا إلى تعاهد القرآن الكريم؛ خشية نسيانه، وحذّر من ترك تلاوته فقال: "إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ". (٢٦) وقال في حديث آخر رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:"بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ". (٢٧).والمعروف أن الإبل إذا ذهبت وتفلتت من صاحبها لا يقدر على الإمساك بها إلا بعد تعب ومشقة، فكذلك صاحب القرآن إن لم يتعاهد حفظه بالتكرار والمراجعة انفلت منه، واحتاج إلى مشقة كبيرة لاسترجاعه. قال الحافظ ابن حجر في شرحه هذا الحديث: ما دام التعاهد موجودًا فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودًا بالعقال فهو محفوظ، وخصّ الإبل بالذكر؛ لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا، وفي تحصيلها بعد استكمان نفورها صعوبة(٢٨).

نماذج من طرائق تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم:

أولاً: الطريقة الأولى: ضرب الأمثال.

أكد التربويون أن ضرب الأمثال

أسلوب من أساليب التربية الناجحة؛ ذلك أنه يقرب المعلومة من عقول المتعلمين. وهو أسلوب استخدمه النبي – صلى الله عليه وسلم – في مواقف متعددة؛ لما يحمله من سرعة إيصال المعنى المراد، والذي من خلاله تغرس في النفس القيمة التربوية المرادة، ويستقر في العقل المعنى المطلوب. والأمثلة الدالة على ذلك من السيرة النبوية كثيرة، منها: عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ" (٢٩).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ" (٣٠).

ثانيًا: الطريقة الثانية: طرح الأسئلة على المتعلمين:

اتخذت هذه الطريقة عند الرسول – صلى الله عليه وسلم – منحَيين تربويّين: أحدهما: تشجيع الصحابة على طرح الأسئلة عليه – صلى الله عليه وسلم – تشجيعًا لهم، ورفعًا للحرج عنهم، ومن ذلك ماروه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى لَهُمْ صَلاَةَ الظُّهْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لاَ تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا" قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ يَقُولَ: "سَلُونِي" فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "أَبُوكَ حُذَافَةُ"، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ أَنْ يَقُولَ: "سَلُونِي" بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ(٣١).

أما المنحى الثاني فهو استخدام أسلوب طرح السؤال على المتعلمين، تشويقًا لهم، وجذبًا لانتباههم، حتى اذا استمعوا الاجابة كانت أوقع في نفوسهم، ومن ذلك قوله: صلى الله عليه وسلم "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ... " ومن ذلك سؤاله الحجيج بمنى في خطبة الوداع " أي يوم هذا؟.. " (٣٢)، وحديث الرؤيا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ ومن ذلك ماروه أبو هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ " قالوا: لا يا رسول الله. قال : " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ " قالوا : لا. قال: " فإنكم ترونه كذلك".(٣٣).

الطريقة الثالثة: طريقة تحفيز الفكر وإعمال العقل:

وهذه الطريقة قريبة من سابقتها؛ لكن الرسول – صلى الله عليه وسلّم – آثر أن ينفّذ هذه الطريقة بأساليب كثيرة منها:

أسلوب المسابقات: فكان صلى الله عليه وسلم يطرح أسئلة المسابقة على الحضور كلهم: صغيرهم وكبيرهم؛ تحفيزًا لهم على البحث الجاد عن الإجابة، ومن ذلك ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟" قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ:"هِيَ النَّخْلَةُ" (٣٤). ومن ذلك مارواه أبو هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار؟"(٣٥).

أما الأسلوب الثاني فهو أسلوب التفكير والاستنباط: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت لي غلامًا أسود،

فقال النبي: هل لك من إبل؟ قال نعم، قال فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم إن فيها لورقاً، قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: وهذا عسى أن يكون نزعة عرق " (٣٦). ومنه حديث معاذ المشهور أنه – صلى الله عليه وسلم– قال :أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم. ثلاثاً....) ثم أجابه. وحديث: قَالَ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟" قَالَ: قُلْتُ: "اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" (٣٧) قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: "وَاللهِ لِيَهْنَكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ".(٣٨).

الطريقة الرابعة: التعليم بالقصة:

لا شك في أن ذكر القصص محبَّب إلى النفس؛ لما فيها من ذكر النوادر والوقائع وأخبار الماضين، والأحداث المثيرة التي يكون لها وقعٌ في النفس. والقصة لها قدرة عظيمة في جذب النفوس، وحشد الحواس تجاه القاص؛ ومن ثم فإن القصة تثبُت في العقل، وتستقرُّ في الوجدان ولا تكاد تنسى. ومن ثمّ فإن الرسول – صلى الله عليه وسلّم – علّم أصحابه عن طريقها كثيرًا؛ لما فيها من: تقوية العزائم، وتسلية النفوس، وأخذ العبرة والعظة ومعرفة أخبار الماضين، وحفظ الأحداث. وقصص الرسول لأصحابه كثيرة متنوعة متعددة، ولا يتسع المجال إلا لذكر عدد قليل منها؛ وذلك بسبب طول بعضها، ولعلم كثير من القراء بها؛ مما يجعلنا نكتفي – أحيانًا – بالإشارة إلى بعضها بسبب شهرتها وتداولها بين الناس. ومن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد والقصة مشهورة، وقد رواها البخاري ومسلم. فانظر إلى تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع هذا الرجل، فقد تعامل معه بالحكمة والرفق واللين والتوجيه السديد، فقد قال له: " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن". ومن ذلك تعامله صلى الله عليه وسلم مع معاوية بن الحكم السلمي عندما تكلّم في الصلاة، فانظر ماذا قال هذا الصحابي بعد هذا الموقف، وبعد ما سمع توجيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلِّما قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. وقصة عباد بن شرحبيل – رضي الله عنه – يرويها فيقول: أصابنا عام مخمصة فأتيت المدينة فأتيت حائطا من حيطانها فأخذت سنبلا ففركته وأكلته وجعلته في كسائي، فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال للرجل: "ما أطعمته إذ كان جائعا –أو ساغبا– ولا علمته إذ كان جاهلا" فأمره صلى الله عليه وسلم فردَّ إليه ثوبه، وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق".(٣٩) وقصة الأعمى والأبرص والأقرع مشهورة جدًا، والهدف التعليمي من ذكرها واضح جليٌّ. (٤٠) وقصة الثلاثة الذين لجؤوا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة. المهم أن لا يكون همُّ المعلم سردَ القصص والتأثير في المتلقي دون الإشارة والتركيز على العبرة والعظة والاستنباط.

الطريقة الخامسة: التعليم بالتدريب العملي أمام المتعلّم:

كان صلى الله عليه وسلّم حريصًا عليهما (الإتقان والدقة) في تعليمه، فقد اعتمد عليه الصلاة والسلام البيان العملي لتوضيح طرائق التنفيذ أمام المتعلّم، ذلك أن المتعلم قد يسمع شيئًا ويفهمه، لكنه يحتاج إلى تنفيذ عمليّ وإجراء فعليّ أمامه؛ حتى يرى بعينيه ما يُنفّذ أمامه، فيستقر الدرس في عقله، ويقرّ في ذهنه. والأمثلة على ذلك كثيرة متنوعة، منها: في الصلاة: ما رواه البخاري في صحيحه ٢: ٩٣، في كتاب الأذان(باب الأذان للمسافرين) عن مالك بن الحويرث الليثي حيث قال أتينا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"(٤١). وفي الوضوء: ما رواه النسائي وابن ماجه، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رجلاً أتى النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فقال: يا رسول الله كيف الطَّهور؟ (أي الوضوء)، فدعا صلّى الله عليه وسلّم بإناء فيه ماء فغسل كفيه ثلاثاً حتى استوفى، ثم قال: "فمن زاد على هذا أو نقص، فقد تعدّى وظلم". وفي رواية عمرو بن العاص في سنن أبي داود " أن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول

الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو ظلم وأساء". (٤٢). وفي الحج: وقف مع الناس بعرفات، ورمي الجمرات، وبات في مزدلفة ومنى وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فقد روى أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم بألفاظ متقاربة، أنّه صلّى الله عليه وسلّم حجّ، وقال: "خذوا عنّي مناسككم". (٤٣).

الطريقة السادسة: التعلم عن طريق حل المشكلات:

هناك أمثلة كثيرة في السنة النبوية لاستخدام طريقة حلّ المشكلات في معالجة بعض القضايا، منها على سبيل المثال الموقف الآتي: "عن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأله فقال صلى الله عليه وسلم: أما في بيتك شيء قال: بلى حِلْس (كساء) نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعبٌ (كوب) نشرب فيه من الماء، قال ائتني بهما، فأتاه بهما، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال: مَن يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال من يزيد على درهم، مرتين أو ثلاثًا؟، قال رجل أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قادوما(آلة نجارة) فأتني به، فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودًا بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينّك خمسة عشر يومًا، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا خير لك من أن تجيء المسألةُ نكتةً في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقِع، أو لذي غُرم مفظع، أو لذي دم موجع". (٤٤).

١. فالحديث يوضح مشكلة تعرّض لها رجل من الأنصار، هي مشكلة الفقر الشديد، وقد رغِب الصحابي في معالجتها، فاتجه إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسأله (يطلب منه مالاً).
٢. لكنه عليه الصلاة والسلام لم يقدّم الجواب السريع المباشر (فلم يعط السائل مسألته) بل بدأ في معرفة أسباب المشكلة، وافترض افتراضات عدة، من الممكن أن تصاغ في صورة أسئلة منها: هل السبب هو عدم قدرة السائل على العمل؟ هل السبب كَسَلُ السائل عن السعي على الرزق؟، هل السبب استسهال الحصول على المال من التسول؟.
٣. وبعد أن تأكد الرسول صلى الله عليه وسلم – من معرفة سبب المشكلة وهو الكسل، واستسهال الحصول على المال عن طريق التسول، أخذ في حلّها حلّا جَذْريًّا، فسأل الرجلَ قائلا: " أما في بيتك شيء؟" قال الصحابي: "بلى حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء"، قال صلى الله عليه وسلم:" ائتني بهما" فأتاه بهما، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: " مَن يشتري هذين؟ " قال رجل أنا آخذهما بدرهم، قال صلى الله عليه وسلم: "مَن يزيد على درهم؟ قالها مرّتين أو ثلاثًا"، قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إيّاه. وهنا نلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على مصلحة الصحابي فلم يوافق على العرض الأول بل (أنشأ بلغة العصر مزادًا علنيًا لجمع أكبر مبلغ للصحابي).
٤. (تنفيذ الحل عمليًا) فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر (قادومًا) فأتني به، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودًا بيده، ثم قال له اذهب واحتطب وبع،(اجمع حطبًا وبعه)، ولا أرينك خمسة عشر يومًا، ولعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – حدَّد هذه المدة (خمسة عشر يومًا) كي تنجح التجربة، وتظهر نتيجة الحل.
٥. (نجاح التجربة والحل): فذهب الرجل يحتطبُ ويبيعُ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا.
٦. (تعميم النتائج): وبعد ذلك علّل له الرسول صلى الله عليه وسلم :عدم إعطائه المال بمجرد طلبه منه بأن من يطلب المال وهو قادر على العمل ستجيء المسألة نكتة سوداء في وجهه يوم القيامة، ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا النصح الذي

قدّمه للصحابي صاحب المسألة، بل أصدر صلى الله عليه وسلم حكمًا شرعيًّا في هذه الحادثة وأشباهها، فقال صلى الله عليه وسلم:": إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقِع، أو لذي غُرم مفظع، أو لذي دم موجع".

وهكذا نجحت التجربة، واطمأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نجاحها. و في السنة النبوية العديد من المواقف التعليمية التي اتبع فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - طريقة حلّ المشكلات.

ومن الأمثلة على ذلك الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري حيث قال إنه - صلّى الله عليه وسلّم - مرّ بغلام يسلخ شاةً وما يُحْسن، فقال له رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - "تَنَحَّ حتى أُرِيَك" فأدخل يده بين الجلد واللحم فدَخَس بها (أي دفع)، حتى دخلت إلى الإبط، وقال يا غلام هكذا فاسلخ. ثم مضى، فصلى للناس ولم يتوضأ" (٤٥).

الطريقة السابعة: طريقة الإلقاء المباشر:

إن طريقة الإلقاء طريقة تربوية، يتمّ بوساطتها إيصال معلومة أساسية إلى المتلقين؛ ويهتم هذا الأسلوب بالعرض والتوضيح والتفسير، وقد يستخدم الإخبار في كثير من الأحيان، وفي هذه الطريقة يقوم المعلم بشرح موضوعات جديدة إلى تلاميذه، وهي طّريقة لا يستغنى عنها أساتذة العلوم الشّرعية إلى اليوم؛ بسبب أنّهم بهذه الطريقة يكونون قادرين على تلقين الطّلاب أكبر كمٍّ من المعلومات الدّينيّة بطريقة تختصر الوقت وتحقق الهدف، كما أنّ المعلم يكون قادرًا من خلالها على تلقين المعلومة إلى شريحة كبيرة من الطّلاب الذين يجتمعون في قاعة واحدة، وتصلح هذه الطّريقة في التّدريس في تلقين وشرح مسائل معيّنة قد لا يكون فيها مجال كبير للنّقاش، مثل الخوض في مسائل العقيدة وصفات الله تعالى.

وقد استخدم الرسول هذه الطريقة في خطب الجمعة، وبالنسبة له وللصحابة كانت هذه الطريقة مناسبة لكل جديد يريد أن يعلمه الرسول أصحابه، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، ولذلك سنكتفي بمثالين فقط لهذه الطريقة منها قوله صلى الله عليه وسلم: " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".(٤٦) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: قَوْله: (لَا يَظْلِمُهُ) هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْر فَإِنَّ ظُلْم الْمُسْلِم لِلْمُسْلِمِ حَرَام، وَقَوْله: "وَلَا يُسْلِمُهُ" أَيْ لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيه وَلَا فِيمَا يُؤْذِيه، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ، وَهَذَا أَخَصّ مِنْ تَرْك الظُّلْم، وَفِي الْحَدِيث حَضّ عَلَى التَّعَاوُن وَحُسْن التَّعَاشُر وَالْأُلْفَة، وَفِيهِ أَنَّ الْمُجَازَاةَ تَقَعُ مِنْ جِنْس الطَّاعَات. انتهى كلامه رحمه الله".

ومن ذلك أيضًا الحديث الذي رواه عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إنما الأعمال بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه"(٤٧).

الطريقة الثامنة: استعمال الوسائل والرسومات التوضيحية:

استعمل عليه الصلاة والسلام وسائل الإيضاح بأشكالها المتعددة (بالرسم على الأرض والتراب) قال جابر: " كنا جلوساً عند النبي - صلّى الله عليه وسلّم - فخط بيده في الأرض خطًّا هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله - عز وجل - وخط خطين عن يمينه، وخطين عن شماله، وقال: هذه سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم مما وصاكم به لعلكم تتقون" ومن ذلك أيضًا الحديث الذي رواه - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: "هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا " (٤٨). ومن ذلك ماروه الإمام أحمد والدارمي وصححه الحاكم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -خطا بيده ثم قال (هذا سبيل الله مستقيما) وخط عن يمينه وشماله، ثم قال رسول الله: (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ: "وأن

هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله "(٤٩). ومن ذلك أيضًا استعمال الأصابع وسيلة تعليمية، فقد قال في حق كافل اليتيم: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)(٥٠).

هذا، وهناك طرق أخرى كثيرة لا يتسع المقام لتوضيحها وشرحها، وسنشير إلى بعضها عن طريق الإجمال، ومنها: طريقة التكرار، وطريقة ذكر الأعداد، وطريقة التشويق والإثارة وتنويع المثيرات ومنها: استخدام تعبيرات الوجه، واليدين والإشارات الجسدية، والتنويع الصوتي والحركي و...، وطريقة التدرج في التعليم، والجمع بين أساليب التعليم الفردي والجماعي: ومن ذلك قول أبي سعيد بن المعلي رضى الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم أجب حتى صليت، ثم أتيته، فقال: «ما منعك أن تأتي؟ فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، قال: ألم يقل الله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ" (سورة الأنفال: ٢٤) ثم قال: "لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد" ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت: يا رسول الله، ألم تقل: "لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن" قال: "الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"(٥١).أما التعليم الجمعي فمنه قول الصحابة كنا جلوسًا فهذا نموذج للتعليم الجماعي، وفي كثير من النصوص نقرأ: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً مع أصحابه. ومن ذلك استخدام العموميات عند ذكر المآخذ فنجده صلى الله عليه وسلم يقول: مابال أقوام وهو يعلّمهم بأسمائهم، لكنه لا يريد يفضحهم على رؤوس الأشهاد. وغير ذلك الكثير والكثير من طرائق تعلميه صلى الله عليه وسلم.

التوصيات والمقترحات:

وبعد، فهذه بعض طرائق تعليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه، وهذا غيض من فيض، وجدول من نهر، نضعه بين يدي قارئي هذا البحث المتواضع. وما يهمنا هنا أن نوصي بضرورة وضع هذه الطرائق بين يدي المعلمين والتربويِّين، والقائمين على أمر التعليم في جميع أنحاء العالم؛ كي يفيدوا منها، ويعلِّموا الأجيال بعضًا منها؛ علّهم يعلموا عظمة هذا النبي الأمي الذي علّم المعلِّمين، ووضع لهم أسسًا عظيمة، وقواعد ثابتة في طرائق التعليم، وترك لهم إرثًا عظيمًا ينهلوا منه، ويرتووا من ينابيعه. كما نقترح أن تطبع كتيبات صغيرة تبرز هذا الجانب العظيم من جوانب عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى عقد ندوات ومحاضرات تركز على هذا الجانب. كما نشير إلى ضرورة إضافة هذا الجانب إلى المناهج الدراسية؛ كي يدرس الطلبة هذا الجانب العظيم من جوانب عظمته صلى الله عليه وسلم.

الهوامش:

(١) رواه ابن ماجة/ ٢٢٩.

(٢)مسلم:١٤٧٨، وابن ماجة/ ٢٢٩.

(٣)الجمعة/ ٢.

(٤) البخارى بحاشية السدى، ج ١، ص ٢٣

(٥) أخرجه أحمد برواية ابن مسعود رضى الله عنه، ج ٦، ص ٩٦.

(٦) انظر مختار الصحاح، مادة: ط ر ق.

(٧) (طه/ ٦٣) والجمع طرائق.

(٨) المعجم الوسيط، مادة: ط ر ق.

(٩) (الجن/١٦

(١٠) (الجن/١١).

(١١)عمر محمد الشيبانى، الفكر التربوي: بين النظرية والتطبيق، المنشأة العامة للنشر، ١٩٨٥م، ص٤٠٥.

(١٢) عبد الرحمن عبد السلام جامل: دراسة تقويمية لكتب المواد الاجتماعية بالتعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية، بحث قدم إلى مؤتمر المناهج، القاهرة ١٩٩٨م.

(١٣)أحمد حسين اللقاني: اتجاهات في تدريس التاريخ، ط ٣، ١٩٩٩. ص٨٧.

(١٤)محمد السكران: أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية، دار الشروق، عمان، ط١ ١٩٨٩. ص ١٢١(بتصرف).

(١٥)محمود محمد غانم: التفكير عند الأطفال تطوره وطرق تطويره، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.ص ١٣٤.

(١٦)عبدالكريم الخلايلة، وعفاف اللبابيدي: طرق تعليم التفكير للأطفال، دار الفكر، عمّان، ط١٩٩٠،١م. ص ١٠.

(١٧) أخرجه ابن ماجه بسنده عن أنس رضى الله عنه، ج١، ص٥.

(١٨) أخرجه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، ج ١٢، ص ١٨٠.

(١٩) صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١١٣، ١٠٥٧).

(٢٠) مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٢١) (صحيح مسلم ج ٢، ص ١١٢٧)

(٢٢) عبد الفتاح أبوغدّة: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٣،٢٠٠٣م، ص٦٤.

(٢٣) رواه البخاري/ ٤٦٢١.

(٢٤) رواه البخاري/٥٨٢٧، ومسلم/٩٤٠.

(٢٥) مسند أحمد(٥/٢٥٦)

(٢٦) صحيح البخاري/ ٥٠٣١

(٢٧) صحيح البخاري/٥٠٣٢.

(٢٨) (فتح الباري(٩/٧٩).

(٢٩) صحيح مسلم/٤٣٥٥.

(٣٠)البخاري/ ٣٥٣٥.

(٣١) صحيح مسلم رقم (٢٣٥٩(.

(٣٣) البخاري (٦٠٨٨) ومسلم (٢٦٧)

(٣٤) البخاري/٦٢ وصححه الألباني في الأدب المفرد للبخاري. ومن ذلك مارواه أبوهريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلّم.

(٣٥)البخاري ٦٥٣٤، ومسلم ٢٥٨١.

(٣٧) البقرة: ٢٥٥.

(٣٨) مسلم ٨١٠.

(٣٩) [رواه أحمد (١٦٠٦٧) وأبو داود (٢٦٢٠) وابن ماجه (٢٢٩٨)].

(٤٠) انظر البخاري/ ٣٢٧٧.

(٤١) البخاري (٦٠٥)، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فصلى بنا فصلى الناس بصلاته.

(٤٢) أبو داود: سنن أبي داود - الصفحة أو الرقم: ١٣٥خلاصة حكم المحدث: سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]

(٤٣) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (١٢٥/٥) من حديث جابر بن عبد الله، ورواه الإمام مسلم في "صحيحه" (٩٤٣/٢) بلفظ: "لتأخذوا مناسككم.." من حديث جابر رضي الله.

(٤٤) أخرجه أصحاب السنن، واللفظ لأبي داود، وحسنه الترمذي.

(٤٥) صحيح ابن ماجه - الصفحة أو الرقم:٢٥٩٢،:وصحيح أبي داود - الصفحة أو الرقم: ١٨٥.

(٤٦) البخاري (٨٦٢/٢، رقم ٢٣١٠)، ومسلم (١٩٩٦/٤، رقم ٢٥٨٠) أخرجه أحمد (٩١/٢، رقم ٥٦٤٦).

(٤٧)صحيح البخاري/١.

(٤٨)البخاري ٦٤١٧، ومسلم ١٦٧١.

(٤٩)الأنعام –١٥٣)

(٥٠) رواه البخاري/ ٦٠٠٥،ومسلم/١٠٩.

(٥١) البخاري/ ٤٢٠٤.